«داعش» و«القاعدة» والأميركان

■ حميدي العبدالله

سيطر تنظيم «داعش» يوم الثلاثاء الماضي على أجزاء واسعة من محافظة نينوى، بما في ذلك عاصمة المحافظة مدينة الموصل، واستولى على البنوك والمؤسسات الحكومية الأخرى بما في ذلك مطار الموصل، وقبل ذلك تمكن تنظيم «داعش» من مهاجمة مدينة سامراء، ولكن الجيش العراقي تمكن من طرده منها. وأعقب ذلك بشن هجوم في الأنبار فاستولى على الجامعة واحتجز عدداً من مدرّسيها.

حقق «داعش» هذه المكاسب في حين كان يخوض القتال على ثلاث جبهات، جبهة القتال مع الجيش العراقي في أنحاء مختلفة من العراق، بخاصة في المحافظات الغربية والشمالية، وجبهة القتال ضدّ الجيش العربي السوري عند عدد من الجبهات، وجبهة القتال ضدّ «جبهة النصرة» و«الجبهة الإسلامية» في المحافظات الشرقية من سورية.

من أين جاءت هذه القوة كلّها لتنظيم «داعش» كي يقوم بذلك كلّه، ويحشد هذا العدد الكبير من المقاتلين لخوض صراع على ثلاث جبهات في آن واحد، ويحقق تلك النجاحات في مواجهة الجيش العراقي، وفي مواجهة «جبهة النصرة» و«الجبهة الإسلامية» في سورية؟

تنظيما «القاعدة»، و«داعش» بين تلك التنظيمات التي نشأت وترعرعت في أحضان الاستخبارات الغربية، وبخاصة الأميركية، وكانت تؤدي دوماً دوراً وظيفياً يخدم المصالح الغربية، فهي تستخدم فزاعة لتبرير تدخل عسكري خارجي في أي بلد يعتمد سياسة مستقلة، وتعتمد عليها الاستخبارات الغربية لمحاربة أنظمة لا تدور في الفلك الغربي. كان ذلك دور تنظيمات «القاعدة» في أفغانستان وسورية والعراق. ومن كان يحاربه الغرب في هذه التنظيمات ليس الهيكل الرئيسي أو قيادات تنظيم «القاعدة»، بل المجموعات التي اضطرت الدول الغربية إلى تجنيدها باسم «القاعدة» وتحت شعاراتها، لكنّها ليست على بيّنة من الارتباط بالغرب، فعادة ما تستهدف جماعات متفرعة المصالح الغربية، مدفوعة بالتعبئة التي تلقتها ضدّ الغرب في معسكرات القاعدة. ويمكن القول كلّما اتسعت قاعدة هذه التنظيمات كان خروجها على السيطرة الغربية والدول المشغّلة في المنطقة أوسع وأقوى.

تنظيم «داعش» واحد من تنظيمات «القاعدة»، يسيطر عليه العراقيون، وهو من تفرّعات «القاعدة» التي خرجت على نطاق السيطرة الغربية واستخبارات المنطقة وجاء هذا الخروج عن السيطرة تحت تأثير عاملين أساسيين:

العامل الأول، ما آل إليه حكم العراق بعد الانسحاب الأميركي، إذ أدى دستور «بريمر» إلى تقاسم مذهبي وعرقي لمناصب السلطة الرفيعة في العراق، وبموجب هذا التقاسم احتلت جماعات عراقية مرتبة متقدمة، وخسرت جماعات أخرى مواقع ودوراً استأثرت به قروناً طويلة، وولد ذلك رد فعل في مناطق معينة من العراق، لا سيما المحافظات الغربية والشمالية، قاد إلى التفاف قوى وفئات واسعة حول تنظيم «داعش». وبين هذه القوى جماعات قاتلت الاحتلال الأميركي، وجماعات أخرى مثل «هيئة العلماء المسلمين» التي يترأسها حارث الضاري، واستقطب «داعش» ألوف المقاتلين المناهضين للأميركيين والساخطين على صيغ الحكم الراهنة في العراق.

انضمام ألوف المقاتلين إلى صفوف «داعش» أخلّ بالتوازن لمصلحة الخارجين على السيطرة الغربية وسيطرة استخبارات المنطقة عليها، وبات المحرك الأساسي في هذا التنظيم المصالح والتطلعات التي تعبّر عنها فئات واسعة في المحافظات الغربية والشمالية في العراق وليس الإيديولوجية التكفيرية التي يتبناها «داعش»، ولذلك هاجمت «داعش» تنظيم «القاعدة» الأصلي ممثلاً بأيمن الظواهري واتهمته بالتواطؤ مع الدول الغربية وحكومات المنطقة التي تدور في فلكها، ولهذا السبب أيضاً شنّت الحكومات الغربية وحكومات المنطقة هجوماً عنيفاً على «داعش»، في حين لم تظهر العداء ذاته ضد تنظيم «القاعدة» الأصلي وضد «جبهة النصرة» وحركة «أحرار الشام» في سورية المرتبطين بتنظيم «القاعدة» العالمي.

هذا الواقع الجديد أخرج «داعش» من كونها استطالة استخبارية غربية تؤدي دوراً وظيفياً لخدمة المصالح والمخططات الغربية، وصولاً إلى تنظيم يقود تمرداً شعبياً في العراق، ويهدد بطروحاته المتزمتة والتكفيرية وحدة العراق، ويتعدى خطره العراق إلى المنطقة كلّها، لما يتمتع به من دعم شعبي واسع في مناطق معينة من العراق، ولما آلت إليه من قدرات وإمكانات في ضوء سيطرته على موارد واسعة في المحافظات الغربية والشمالية من العراق، والمناطق الشرقية في سورية.

الرياض أمام التقارب الإيرانيّ... أو التطبيع الصهيونيّ؟!

■ فهد المهدي

تقويم عملية التقارب الإيراني ـ الخليجي راهناً ليس أمراً سهلاً في ظل المتغيّرات المتتابعة التي تكتنف الساحة السياسية في المنطقة والمؤثرات الدولية المتزايدة، فالتيار المتشدّد في البيت الخليجي الذي يتخذ مواقف متصلّبة ضدّ إيران ويرفض التقارب معها كي لا يعتبر التقارب اعترافاً بدورإيران في سورية، ما زال قائماً في ظلّ حرب باردة تسخّنها أطراف هنا وهناك.

مؤشّر واحد فحسب، ربما بادرت إليه القيادة السعودية تحت مقولة «مكرهٌ أخاك لا بطل»، بخاصة بعد إقالة بندر بن سلطان، رئيس الاستخبارات السعودية السابق والذي يعتبر في تصنيف أمراء الرياض أكثرهم تزعماً لفريق الحرب ضد إيران. هذا الأمر فتح للبدء في محادثات سرية مع الإيرانيين، إذ نشرت بعض المصادر تسريباً لمعلومات من سلطنة عمان تفيد بأن «بعد إضعاف التيار المتشدد في السعودية اتصل العاهل السعودي بالسلطان قابوس وطلب منه التوسط لإدارة حوار مع إيران، فأرسل السلطان مبعوثاً إلى الرياض وتم الاتفاق على ترتيب اجتماع في مسقط لخبراء أمن وسياسيين من إيران والمملكة، تم خلاله وضع خريطة طريق لمجرى العلاقات بين البلدين، وانضمت لاحقاً الكويت إلى هذه الجهود التي تحظى بدعم روسي واضح.»

في المقابل، عوامل الاختلاف الكبيرة والعميقة قائمة بين البلدين، فالأمور لا تحل بـ«عفا الله عما سلف» كما كانت تشتهي السعودية، خصوصاً في ما يتعلق بالملف السوري، رغم أن الرياض والذين كانت تعتمد عليهم أقروا بأنهم فشلوا أمام سورية، وتوّج هذا الفشل بعد الانتخابات السورية التي تكللت بفوز الرئيس بشار الأسد لولاية ثالثة مدتها سبعة أعوام شارك فيها أكثر من عشرة ملايين ناخب، على عكس إيران التي باركت هذه الانتخابات واعتبرتها نصراً جديداً للدولة السورية، مؤكدة أن السوريين وحدهم يقررون مصيرهم السياسي.

الرياض تدرك اليوم أكثر من ذي قبل أنه لا بد من إيجاد تسوية سياسية وإزالة المشاكل التي تواجهها مع طهران، خصوصاً بعد إقصاء بعض رموز التيار المتشدد الذين كانوا ضد هذه التسوية، إذ أعلنت السعودية على لسان وزير خارجيتها سعود الفيصل أنها قدمت دعوة رسمية إلى وزير الخارجية الإيراني (ظريف) لزيارة المملكة في أي وقت يراه مناسباً. إلا أنها تدرك في الوقت ذاته أن الطريق ما زال طويلاً، وأن عجلة تحسين العلاقات لم تدر بكامل طاقتها.

أحست الرياض بأنها أضحت لاعباً غير أساسي في الخليج والمنطقة وتقلص نفوذها شيئاً فشيئاً حتى بات من كان معها بالأمس متنصّلاً منها، أو ضدّها اليوم، بسبب عدم إدراكها عواقب التبعية للسياسات الخارجية البراغماتية التي لا تقيم وزناً للقيم والأخلاق في تعاملها مع أعدائها، ومع حلفائها وأدواتها، فوحدها «المصلحة» تحدد بوصلتها وتوجهاتها الآنية والمستقبلية.

خسرت الرياض فرصة كبيرة للتقارب مع طهران عند تولي حسن روحاني رئيساً للجمهورية الإسلامية الإيرانية، الذي أعرب عن رغبته أكثر من مرة وعبر قنوات رسمية وإعلامية سعودية آخرها في تصريح لصحيفة «الشرق الأوسط» السعودية في أن تكون الرياض أول عاصمة عربية يزورها، لكن السلطات السعودية لم تستجب البتة لهذه الرغبة.

بعد النجاح الكبير الذي تحقق في سورية في المجالين العسكري والسياسي، لم تعد طهران تعتبر نفسها معنيّة بقبول شروط المهزومين، سواء في المفاوضات المتعلقة بالنووي مع الغرب، أو تلك التي تسعى السعودية إلى تحويلها من مفاوضات إلى إملاءات على إيران .

قد تجد السعودية خياراً خطيراً إذا فشل التقارب مع طهران في المدى القريب في اتخاذها خطوات تخالف سياساتها التقليدية، والانتقال من الساحة السرية للحوار مع الكيان الصهيوني إلى الساحة المفتوحة بإعلان التطبيع معه فثمة توافق في وجهات النظر بينهما على أن الخطر الحقيقي لا يتمثل في «إسرائيل» أو «اليهود» أو الصهيونية، بل في سورية وإيران وحزب الله إذ نقلت صحيفة «يديعوت» عن ليبرمان قوله: «إن اتفاقات سلام عربية «إسرائيلية» جديدة ستوقع عام 2019».

ورد كذلك في تقرير نشره موقع «يسرائيل بولس» أن «الاتصالات السرية ومظاهر التعاون الأمني والشراكة الاستراتيجية مع دول الخليج «تجاوزت في الآونة الأخيرة جميع الأرقام القياسية».

هذا البديل، وإن يكن ينفيه الساسة الخليجيون ويستبعدونه ويعتبرون التصريحات «الإسرائيلية» حملة نفسية ضد الشعوب العربية، إلى أن نظرة إلى الواقع وإلى استمرار السعودية في سياساتها النرجسية في المنطقة، خاصة في ما يخص الأزمة السورية، تؤكد سعي المملكة إليه، ويدعم الكيان الصهيوني هذه الرؤية، وتقرّها الولايات المتحدة وخبراؤها الاستراتيجيون؛ وكثيراً ما تردد أن وجود «اسرائيل» يخدم السعودية، باعتبار أن «اسرائيل» تعمل ضد القوى الراديكالية.

نقول ختاماً وبثقة أن الرياض تدفع اليوم ثمن الخراب الذي أحدثته في المنطقة، والعزلة التي أحاطت نفسها بداخلها ستكبدها خسائر في المستقبل المنظور، ومن ناحية ثانية لا يمكن إيران أن تدخل في صفقات مع الرياض تدعوها إلى حل الأزمات في المنطقة بالمفرق والتقسيط.

حكومة التوافق الوطنيّ... وكشف المستور في المصالحة الفلسطينيّة!

■ رامز مصطفى

قال موشي يعالون وزير دفاع الكيان الصهيوني أمام مؤتمر هرتسيليا الرابع عشر: «إنّ فرصة ثبات المصالحة الفلسطينية معدومة، ونجاحها صفر». نحن لا نصغي بالطبع إلى كلام قادة الكيان الغاصب ووسائل إعلامه، ولا يجوز أن نأخذ بكلامهم فهم أعداء شعبنا وقضيتنا، ومغتصبو أرضنا ومقدساتنا. لكن من يتابع مسار تطبيق اتفاق تنفيذ المصالحة منذ 23 نيسان المنصرم وما أحاط به من تزايد في وتيرة التراشق الإعلامي والاتهام السياسي بين حماس وفتح، وتحديداً منذ تشكيل حكومة التوافق الوطني في الثاني من حزيران الجاري، يتأكد أنّ مسار هذه المصالحة لا تجري رياحه بما تشتهيه سفن الشعب الفلسطيني وفصائله ونخبه. رغم سيلٍ ملاحظاتها وانتقاداتها على الاتفاق، بسبب إدارة كلٍ من حماس وفتح الظهر للفصائل الموقعة والمنخرطة في هذه المصالحة منذ التوقيع عليها في أيار 2011.

لذلك فإنّ كلام وزير دفاع الكيان الغاصب، الإرهابيّ يعالون، حول المصالحة وانعدام نجاحها، مبنيّ على متابعات سياسية وإعلامية وأمنية.، وكأنه عمل على تبديد مخاوف المجتمعين في مؤتمر هرتسيليا. ولا نعرف إنْ كان الوزير الفلسطيني السابق أشرف العجرمي بين الذين كانوا في حاجة إلى سماع ما يطمئنه إلى أنّ فرص نجاح المصالحة صفر.

المؤسف أنّ الطرفين الموقّعين على الاتفاق يؤكدان عن حُسن نيةٍ، أو عن سوء نية كلام يعالون، ويجعلانه طرباً فرحاً لرؤية انهيار الفرصة الأخيرة لإنقاذ الساحة الفلسطينية، مما تحمله من أثقال وهموم وما تواجهه من تحديات لم تعد خافية على أحد، فهي تتهاوى وتتبدد وتذهب أدراج الرياح.

ولعل المقابلة التي أجراها الصحافي المصري مصطفى بكري مع رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، وما صرح به عباس لقناة «صدى البلد» المصرية يظهرأن ما ستشهده المصالحة من تراجع، بل سقوط، في الأيام المقبلة وحتى إنجاز الانتخابات مطلع 2015، إلاّ إذا سارع طرفا الانقسام والمصالحة إلى معالجة الأمور على خلفية المصالح الوطنية العليا لا من زاوية الربح والخسارة لكل منهما. إذ تحدث أبو مازن ومن دون مقدمات أو رتوش عن المصالحة، ورؤيته لها قائلاً: بدأت حماس تفهم أنه ليس أمامها إلاّ أن يكون هناك مصالحة، فهذه التجربة التي خاضتها في غزة لا يمكن أن تعيش بهذا الشكل « وتابع قائلاً: «المصالحة تمت على أرضيتنا، وبشروطنا، واتفقنا على حكومة تكنوقراط من المستقلين. حكومة توافق وطني»، وأضاف: «اتفقنا أن تلتزم حكومة التوافق بسياستي التي أرسمها، تعترف بـ«إسرائيل» وتنبذ العنف وتقبل بالشرعية الدولية، وتقبل بالمقاومة الشعبية السلمية، وتقبل بالمفاوضات، وبما بيننا وبين «الإسرائيليين» من تنسيق أمني وغيره». وعن المقاومة في قطاع غزة قال: «ليس هناك وجود للمقاومة في القطاع، بل هناك تنسيق أمني حديدي مع «إسرائيل» بموجب اتفاق التهدئة عام 2012 «. وطالب عباس حركة حماس «بتحمّل رواتب الموظفين في حكومة غزة السابقة، بعدما صُرفت رواتب موظفي الضفة من دون موظفي غزة الشهر الماضي، مضيفاً: «من كان يدفع لك يُكمل حتى نتفق هل تريد من الآن أن تحملني الرواتب. أنت جئت للمصالحة لتحملني الرواتب. وهذا غير مقبول وإشارة سيئة أضع عليها إشارة استفهام».

ما جاء في كلام أبو مازن للقناة المصرية أثار عاصفة من الانتقادات والاتهامات من قبل العديد من قيادات حماس، فرد الدكتور صلاح البردويل موضحاً أن حركته «تأسف للتصريحات غير الوحدوية التي صدرت على لسان عباس من مصر»، وأضاف «أن ادعاء أبو مازن بأنّ حماس هي التي تتكفل برواتب موظفي غزة يشكل تجاهلاً للحقيقة وللاتفاق الموقع مع فتح «. بدوره انتقد الدكتور محمود الزهار منهج رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس في التعامل مع اتفاق المصالحة، ووصفه بأنه «إقصائي وغير مقبول»، واتهم الزهار أبو مازن في سياق تصريحاته لصحيفة «السبيل» الأردنية بأن هذا الأخير «لا يؤمن بشراكة إلاّ من كان يسير على نهجه من الفلسطينيين». وتابع الزهار: «عباس لا يؤمن بالرأي الآخر، ويريد أن يستحوذ على كل شيء»، مذكراً بخلافه مع السيد محمد دحلان. وكان سبق رئيس السلطة إلى توجيه الانتقادات والاتهامات لحماس على خلفية إقدامها على إغلاق المصارف والاعتداء على الموظفين ومنعهم من تسلّم رواتبهم، إذ صرح الناطق الإعلامي في حركة فتح أسامه القواسمي في رده على الاعتداء على الموظفين في قطاع غزة، بالآتي: «هذا الاعتداء غير المسؤول يؤكد أن المصالحة لدى حماس تعني لها توفير الرواتب لموظفيها وعناصرها، ما يعني أن المصالحة بالنسبة إليهم هي مجرد راتب مع الحفاظ على الأجهزة الأمنية تحت سيطرتهم، في حين أن المطلوب أن تتعامل مع المصالحة ضمن رؤية إستراتيجية ووطنية».

ثمة ما ورد في تصريحات رئيس السلطة يحتاج إلى مراجعة وردّ، فمن غير الجائز أن تصبح المعادلة السياسية الفلسطينية قائمة على أساس من المقاربة المتناقضة جذرياً بالمعنى والمفهوم الوطنيين. أي أن التنكر للمقاومة ووجودها، وبالتالي التنكر لجميع التضحيات التي قدمها شعبنا في سبيلها، ليتقدم عليه التمسك بالتنسيق الأمني مع قوات الاحتلال. لكن يصح القول أيضاً، كيف يتم إنجاز اتفاق من دون الاتفاق أولاً وثانياً... وعاشراً على البرنامج والمشروع السياسي الوطني، الضامن الوحيد لنجاح المصالحة وديمومتها. وإلاّ فإن الندم لا ينفع أهله لاحقاً.

أفراح سورية... ومآتم الغرب!

محمد يوسف*

كان مقدّراً إسقاط النظام السياسي في سورية، وكسر جيشها، واستباحة شعبها أمام أميركا و«إسرائيل» وتركيا والتنظيم الدولي لـ«الأخوان المسلمين»، خلال شهر واحد بعد سقوط ليبيا وكسرها مطلع عام 2011، كي تتمكن «إسرائيل» بعد ذلك من أن تعربد باعتبارها ستكون ـ بعد كسر سورية ـ أقوى قوة إقليمية في المنطقة، من خلال كونها قاعدة حربية حقيقية في الشرق الأوسط للغرب الاستعماري وحلف «الناتو»، كما تعربد أيضاً تركيا ـ بعد كسر سورية ـ باعتبارها الامتداد الفعلي للاتحاد الأوروبي وحلف «الناتو» داخل المنطقة التي عانت طوال تاريخها كله من العدوان والاحتلال والإجرام والتخريب والانتقام الغربي، فوق السلب والنهب والسرقة الفاضحة لموارد الأمة والتي ما زالت مستمرة حتى اليوم!

كان مقدّراً لمصر أن تعيش ذلك الوضع المنكسر والمهزوم، وأن تخرج من دائرة التأثير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المنطقة، الى المجهول، أو في أحسن التقديرات تتحوّل مصر إلى أم التاريخ وأم الاجتماع البشري، التي فتحت للبشرية كلها أبواب العلوم والفنون والثقافة، والتي بزغ فجر الضمير الإنساني من أرضها في أولِ التاريخ، وبلد الأزهر، وموطن جمال عبد الناصر... كان مقدّراً لمصر تلك أن تتحوّل ـ في أحسن التقديرات ـ الى «ولاية» تابعة للسلطنة العثمانية، وأن يعود أهلها خدماً لدى «الباب العالي» في اسطنبول، وأن يصبح هذا «الأردوغان» الفاجر السلطان الجديد الذي يعربد مثل أجداده في جسد الأمة، ويبعث «جمال باشا الجزار» الى سورية ليحتلّها ويذلّها ويقتل في نصف يوم فحسب، أربعين ألف مواطن في دمشق وحدها، وبذلك انتزع هذا السفاح ـ في التاريخ السياسي ـ لقبه الإجرامي المنحط «جمال باشا الجزار».

لكن الشعب المصري كسر وحطم مخططات هذه المنظومة المعادية كلّها، وأذهل العالم حين خرج في أكبر احتشادين بشريين يومي 30 حزيران و26 تموز 2013 ليفرض إرادته ويعلن قراره، ذلك القرار الذي توّج بانتخابه للمشير عبد الفتاح السيسي رئيساً للجمهورية بنسب تصويت وفوز غير مسبوق في كل تاريخ ما يدعيه الغرب من «ديمقراطية».

في ما يتعلق بسورية، كان «الشرط الحاكم» الذي أطاح أحلام الغرب وتركيا، وهو ذاك الصمود الأسطوري للشعب العربي في سورية، وللجيش السوري، وللقيادة السياسية لسورية المتمثلة في الرئيس بشار الأسد... حين قذفت أميركا و«إسرائيل» وتركيا والتنظيم الدولي لـ«الإخوان المسلمين» وخدمه وبقاياه في المنطقة العربية والدول الإسلامية، بكل ما في جوفهم من مجرمين وعملاء وخونة ومرتزقة من بقاع الأرض كلّها، حتى أن أعضاء جيش الإجرام هذا حملوا جنسيات نحو مئة دولة، ويا للأسف المر، كان بين هؤلاء من حمل جنسية مصر، ومن حمل جنسية سورية! ولكسر سورية وإخضاعها وإنهاء أسطورة أن هناك عرباً يقاومون.

لكن ما حدث هو سطوع الإدراك الجمعي الفطري والتاريخي للشعب السوري بأبعاد تلك المؤامرة وزواياها وأهدافها الكبرى وتلك العقيدة القتالية العربية الراسخة والمستكنة والمستقرة لدى الجيش السوري والجيش العربي المصري، والمتمثلة في «النصر أو الشهادة»... بمعنى أنّ الذراع العسكرية للوطن وادهت العدوان والافتراء على هذا الوطن، على ضوء حقيقة أنّ الوطن وجد في التاريخ قبل الدين، إذ كان للإنسان وطن قبل أن يتديّن، وبذلك فإنّ الذراع العسكرية للوطن هي في مواجهة أي خطر يحيق بالوطن الذي، لا بد من أن يجلّل رأسه بأيّ من الشرفين: النصر أو الشهادة... ومن الثابت تاريخياً أن التصّدي والمقاومة والنضال والثبات والإدراك بجوانب الخطر القادم، عناصر تحقق النصر وتحفظ الحياة والأمل والمستقبل، وتنفي الموت والغياب والانسحاب. نقول إنّ الإدراك الجمعي للشعب السوري، وعقيدة جيشه القتالية السوية، حسما جميع تفاصيل المشهد السياسي في سورية، وكان اختيار الشعب السوري وجيشه وقيادته اختياراً واعياً وعنيداً للعناصر التي تحقق النصر وتحفظ الحياة، وهذا الشرط حفظ على سورية ووفّر سلامتها وبقاءها شوكة عربية حادة في خاصرة المنظومة المعادية.

نأتي الى مشهد الأفراح التي تعيشها سورية، والى مشهد المآتم التي يعيشها الغرب وخدمه وأتباعه. الانتخابات الرئاسية التي حصلت أخيراً في سورية حققت، مثل الانتخابات الرئاسية في مصر نسب تصويت وفوز غير مسبوق. كما تجللت تلك الانتخابات بفوز كاسح وحاسم للرئيس بشار حافظ الأسد برئاسة الجمهورية. كان الغرب بقيادة أميركا و«إسرائيل» وتركيا، مستعداً للقبول بفوز أي شخص آخر غير بشار الأسد، وإذا كان ضرورياً أن يحدث ذلك فلا تكون بهذه النسب غير المسبوقة! تلك كانت أمانيهم العمياء والبلهاء... فهم لا يعرفون شيئاً غير القوة الباطشة والتآمر والعدوان المجرم، وغاب عنهم وعميت بصائرهم عن الشعوب وعن إراداتها الحاسمة الفارضة، المتحدية، المقاومة... فإذا بهم يترنّحون ويسقطون ويصيبهم سعار عدواني فاجر، إذ خرج الشعب العربي في سورية ليلتف في حلقة محكمة حول قائده ورئيسه بشار الأسد، ويكلفه بأن يبقى ويقاوم من موقع رئاسته للجمهورية، مرة أخرى. كما انتابهم السعار العدواني الفاجر نفسه عندما خرج الشعب العربي في مصر (قبل ساعات قليلة مما حدث في سورية) ملتفاً في حلقة محكمة حول أمله في الخلاص المشير عبد الفتاح السيسي.

تفجّر الفرح والرقص والزغاريد والابتهاج بأنواعه كافة في كلّ من مصر وسورية في وقت واحد، ومشى التاريخ مفاخراً ومملوءاً سعادة وزهواً، وهو يخترق «الجمهورية العربية المتحدة» من إقليمها الجنوبي الى إقليمها الشمالي، مستعيداً الأمل العربي الوحدوي، ومبشراً بعودته قوياً وصامداً وتقدمياً مثلما كان.

المنظومة المعادية تاريخياً للعرب تعيش الآن أحزاناً كاسرة وسوداء ومظلمة بسبب تلك الأفراح الكاسحة في كلّ من مصر وسورية، وفي الوقت عينه. وهذه المنظومة تسمع وترى ذلك الصدى الصاخب والواعي، ومهرجانات الفوز والخلاص التي تملأ وتجتاح «الجمهورية العربية المتحدة»، إذ تعرف يقيناً أنّ متانة الأمة وصلابتها ومقاومتها تتأتى من متانة مصر وسورية والعراق وصلابتها ومقاومتها تحديداً... وتعرف يقيناً أنّ كسر هذه الأمة لا يتحقق إلاّ بكسر هذا الثلاثي العربي.

*كاتب قومي من مصر

هيئة التنسيق (الغرفة الصفراء)

كمال جميل طهبوب*

مبروك لسورية، أسطورة الصمود وإعجاز التحدي وجغرافية الشرف الذي لا تلوّث بياضه الناصع حبيبات صغيرة من الخيانة والتخاذل مهما تركز تلوّثها.

مبروك لسورية نصرها الجديد في منعطف الحسم الانتخابي، فهذا النصر المزدوج أطلق بشائر الأمل في الصراع الحقيقي بين إرادات الشعوب في العالم ولمصلحتها من جهة، وإرادة التحالف الاستعماري/الصهيوني وعلى حساب مرتكزاته من جهة أخرى، وقد حشد كل هذا الكم الهائل من أدوات إجرامه دفعة واحدة ضد سورية الأبيّة.

في الثالث من حزيران استفتى الشعب السوري بغالبيته الساحقة أولاً لمصلحة سيادة سورية وسيادة دولتها ولمصلحة وحدتها الوطنية و دورها الصامد المقاوم. وفي الثالث من حزيران انتخب الشعب السوري بغالبيته الساحقة رمز الشرف الإنساني القائد الفذّ، الزعيم الحكيم وسيد العرب رئيساً لوطنه.

استطاع الرئيس بشار الأسد في الأعوام الثلاثة الماضية أن يحقق في جملة إنجازاته أثناء قيادته صمود سورية في مواجهة العدوان الهمجي عليها، أن يفرز المجتمع الدولي إلى محاور سيادة وتحرّر تقارع محاور الاستعمار والعدوان على نحو واضح. كما فضح الأنظمة العربية الخليجية وأنظمة التبعية التخاذلية التسووية وجميع الأحزاب والنخب المتماهية معها، إلى درجة خلعت فيها ليس أثوابها الوطنية والعربية المستعارة فحسب، بل اندفعت إلى مرحلة التعري من جميع المبادئ الأخلاقية، حتى في أدنى مستوياتها، لتنزلق إلى مستنقع العار على نحو كامل. وأخيراً، وهذا الأهم، طهر التربة السورية من الملوّثات واللوثات التي أصابت بعض حبيباتها حملة التآمر الفكريّ/الثقافيّ/السياسيّ المعادية التي استطاعت أن تتسلل إليها – ويا للأسف– وتبث جراثيم أوبئتها فيها.

عانت سورية (في أحد أوجه أزمتها الداخلية) ونتيجة عدم نضوج التجربة من جهة، وطبيعة الظروف القاهرة من جهة أخرى، ومنذ بداية العدوان إلى قبل عام تقريباً، إشكاليتين تظهّرتا في عدم اكتمال تقبّل الآخر موضوعيّاً لدى الكثير من الموالين (إذا صحّت التسمية) وعدم اكتمال التجربة علميّاً، لتطفو الكيدية السياسية لدى معظم منظومات المعارضة الوطنية من جهة أخرى. إلاّ أن سياسة الرئيس بشار الأسد الحكيمة والواعية، من خلال جملة مواقف وإجراءات على مستوى فرز الإرهاب ومحاربته وتعزيز المصالحة الوطنية انتصاراً للسوريين وحقناً لدمائهم وتعاملاً جدياً وأريحيّاً مع الطروحات الداخلية والعالمية كافة، من لقاء جميع فئات الوطن برحابة صدر وثبات المواقف وحضور اجتماعات جنيف وتعميق للعمل الديمقراطي على أسس وطنية، إلخ... متمكناً ردم الهوة لدى الطرفين، فكانت مرحلة التتويج ليس على إجراء انتخابات رئاسية تقدم إليها العشرات كمرشحين فحسب، بل بالخطاب الذي أعلنه المرشحان (الخاسران للانتخابات إنما الرابحان احترام الوطن والمواطنين) عندما أعلنا وبصوت واحد انتصار الوطن، وأكدا على نزاهة العملية الانتخابية، ووعدا بمواصلة جهودهما في المعارضة تحت سقف وحدة الوطن وسيادته وكرامته وأمنه وأمانه.

حققت الانتخابات الرئاسية السورية وحدة وطنية لافتة أكدت على تلاحم الجميع، مؤيدين ومعارضين، أياً تكن نسبتهم وستكون قاعدة انطلاق مهمة لتعزيز صمود سورية ومكافحة الإرهاب وتطهير الوطن من رجس العدوان، وستكون أيضاً اللبنة الأولى بعد النصر لإرساء الميثاق الوطني وتعميم الحياة الديمقراطية ولإعادة إعمار سورية من جهة أخرى، ما يمنحها دوراً رياديا ليس إقليمياً ولا عربياً فحسب بل وعالمياً بالتأكيد.

صحيح أن المعركة لم تنته، إلا أنها في مراحلها الأخيرة، خصوصاً –أن ما يسمى بـ«المعارضة الخارجية» («الائتلاف» وما شابه) فقدت مشروعيتها وشرعيتها كاملة ليس وطنياً (وهم خونة بحق) بل فقدت جدواها أيضاً لدى أسيادها في الأهداف المباشرة للعدوان. أما الإرهابيون وهم كل سوري أو غير سوري حمل السلاح في وجه الوطن والدولة ويرفض جهود المصالحة أو الاستسلام والانكفاء فهم أيضاً فقدوا قدرتهم على تحقيق أهداف أسيادهم العدوانية وعلى تحقيق أهدافهم الذاتية التكفيرية، كما أصبحوا خطراً ليس على سورية بل على الأمن العالمي وعلى أسيادهم خاصة. صحيح أن الحرب معهم تحتاج إلى جهد وطني سياسي وعسكري جبار إلاّ أن الشعب السوري وجيشه الباسل وقيادته الصامدة هو لها، وسيكون الانتصار السوري مدويّاً وفي زمن ليس ببعيد.

إلاّ أن الخطر الحقيقي في رأينا سيبقى ماثلاً وإن كان باهتاً في وجود بعض المعارضة الصفراء، برّوادها أصحاب الوجوه الكالحة والتي تنقسم جماعات داخلية، وبعضها خارجي قيادي، وتقدم نفسها بكل وقاحة ساقطة، من خلال طروحاتها الثلاثة:

أولاً– ما زالت تعتبر إلى الآن أن استدعاء الإرهاب إلى سورية كان سببه عدم تلبية المطالب السلمية، وفي هذا كذب وافتراء، فالعسكرة كانت جاهزة وحاضرة من الحدود الأردنية ثم التركية منذ الأيام الأولى في آذار 2011.

ثانياً– ما زالت تصرّ على توصيف العدوان الإرهابي على سورية بأنه مجرد دورة عنف يتحمل تبعتها طرفا النزاع، الإرهابيون والجيش السوري، وهذا توصيف غير محمود ومسيء إلى الجيش السوري (مدرسة الشرف العربي) ومعروف من هم أعداء هذا الجيش الباسل في الحقيقة.

ثالثاً– وإن كانوا يرفضون (ظاهرياً) التدخل العسكري الخارجي إلاّ أنهم تحت ذريعة «انعدام الثقة» يطالبون بالتدخل السياسي الخارجي لمعالجة الأزمة، وفي ذلك انتهاك واضح وفاضح للمحرمات الوطنية كلها التي تربينا عليها ونعتزّ بها ونقدم التضحيات الجليلة لأجلها.

لذلك كانت مقاطعتهم الانتخابات الرئاسية وجميع المبادرات الوطنية الديمقراطية السابقة تأكيداً على حقدهم المرتكز على فشلهم الشعبي والسياسي في الفكر والأداء (هذا إن كان لديهم محصلة فكرية أساساً).

المحصلة تؤكد أن رموز هذه المعارضة (إن كانوا يستحقون هذه الدرجة من التصنيف)، بخاصة زعيميها الخارجي والداخلي، هم خبثاء إلى درجة مشينة (على الطريقة الصهيونية، وهذا للتوصيف لا للشتم) وحاقدون إلى درجة عقيمة على الطريقة الصهيونية أيضاً، ونكرر هذا للتوصيف وليس للاتهام، بخاصة أنه يا للأسف بات اليوم ما هو صهيوني ليس بالضرورة يهودياً. فأنظمة الخليج ونخب التخاذل والتسوية ومثقفوها في أقطارنا العربية ومديرو السياسة الاستعمارية الغربية الأورو/أميركية وغيرهم هم أكبر دليل على ذلك.

في النتيجة الطبيعية لهذا الأداء المراوغ، هذه المعارضة الصفراء:

غير مقبولة من قبل دولتها الوطنية بإرادتها هي (أي المعارضة).

غير معتمدة (ظاهرياً على الأقل) من التحالف المعادي بإرادتها هي.

غير متورطة في الإرهاب (ظاهرياً على الأقل) بإرادتها هي.

لكنها، أي هذه المعارضة الصفراء:

ليس من مصلحتها هزيمة الدولة الوطنية، بل ليس من مصلحتها أيضاً انتصارها كي تتسنّى لها ظروف التسلل إليها بشروطها هي.

لا تريد انتصار الإرهاب، إنما لا تريد هزيمته قبل أن تستثمر نتائج تخريبه لمصلحتها هي. وهذه قمة الانتهازية الرخيصة.

لا تريد العدوان الخارجي العسكري، بل تريد بديله تدخلاً سياسياً بعد إعياء الآخرين لمصلحة تثبيت قواعدها هي، خصوصاً أن لا شعبية لها على الإطلاق إلاّ من بعض المهووسين ثقافياً وسياسياً بشعارات لا يؤمنون بها بقدر ما يستنزفونها لمصالحهم الضيقة.

لذلك، نرى أن ما يُجل ما تنادي به هذه المعارضة ينحصر في عدم إمكان الحسم العسكري ليس لأجل المصالحة الوطنية. وهي بذلك تخلط بين الإرهاب ومكافحته والمصالحة ونتائجها الوطنية البحتة، فالحسم العسكري يدمر جميع أحلامها، مثلما تفعل المصالحة الوطنية إن تمت من دون تدخل خارجي.

في رأينا، وإن كان الفشل من نصيب هذه المعارضة/ إلا أن طبيعة تكوينها وأدائها لن تثنيها بأشخاصها أو بدلائهم عن تقديم نفسها، بعد انتصار الوطن واندحار الإرهابيين وانكفاء الخونة الخارجيين، عملياً كتفق مظلم وحيد لا بد سيحتاجه أعداؤنا لمحاولة التسلل من جديد سياسياً أو ثقافياً أو أمنياً إلى ساحة الوطن. وهنا يكمن خطر أمثال هؤلاء ويستحق أن نأخذه في الحسبان مهما بدا ظاهرياً أنه غير مؤثر. فمسعى هؤلاء الأصفر سيبقى ساعياً إلى إلغاء راية الوطن بألوانه الزاهية من الأبيض إلى الأخضر، ومن الأسود إلى الأحمر.

*عربي سوري من فلسطين